

وكان من آثار هذا الفرق الذي نحسه بين ما يتعلق النهي فيه بالقربان من الفعل، وما يتعلق فيه بنفس الفعل، أن الدنو من المكروه النفسي بالتفكير فيه، ومحاولة فعله لا يلزمه أن يصل بالإنسان إلى ارتكابه، وذلك لعدم ميل النفس بطبعها إليه، وليس كذلك الدنو بالتفكير فيما تشتهي النفس وتميل إليه، كالمال والفواحش، فإن الفعل يتبعه في غالب أمره، ولا يتخلف عنه إلا برادع خاص، لا يتفق لكثير من الناس، ولا في كثير من الأحوال. ومن هنا، يظهر السر البلاغي الحكيم في مجيء النهي عن الشرك وأمثاله، متعلقا بنفس الفعل، ومجيء النهي عن المال والفواحش، متعلقا بالقربان منهما، وعلى أساس من هذه النظرة الفطرية أو التي تشبه أن تكون فطرية، نستطيع إدراكه الحكمة في المغايرة بين أسلوب النهي في الجانبين.

* * *

وبعد، فقد عني القرآن الكريم بشأن اليتيم عناية كبيرة: عني به من جهة ذاته، فنهى عن ازدراءه وإهانته، وجعل ازدراءه علامة من علامات التكذيب بيوم الدين: ((أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم)). وعني به من جهة ماله واستثماره، ومن جهة تربيته وتعليمه، وتمرينه على التصرف حتى يبلغ أشده وقوته، ولقد ظهرت تلك العناية في مكي القرآن ومدنيه: ظهرت في المكي حينما عاد الوحي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد أن فتر عنه مدة توجس منها أن يكون الله ودعه وقلاه، فاجأه الوحي على هذه الفترة، وعلى هذا التوجس، مؤكدا له حسن رعاية الله إياه وذنه ما ودعه وما قلاه، وأخذ يثبت ذلك في نفسه، يذكره بعنايته به قبل النبوة وهو باليتيم أحوج ما يكون إلى العطف والإيواء: ((ألم يجدك يتيما فآوى)). ثم يلفت نظره إلى جلال تلك النعمة: نعمة العطف عليه وهو يتيم، ويطلب منه شكرها، وأن يكون هذا الشكر من نوعها: ((فأما اليتيم فلا تقهر)). وظهرت في المكي أيضا في سورة المعاون، وفي هذه الوصايا العشر التي نتحدث في ضوئها. ولقد تأثرت نفوس القوم بهذه الوصايا المكية التي جاءت في شأن اليتيم، وصاروا من أمره في حرج، أيتركونه ولا يتصلون بشيء من أمره، اتقاء للوقوع